المعجم الشعري في شعر المقاومة

ديوان شايлок العصف المأكول أنموذجاً

Poetic Lexicon in the Poetry of Resistance

Diwan of Shylock eaten storm as a model

نسرين شحده المدهون

ماجستير لغة عربية الجامعة الإسلامية-غزة- فلسطين

مدرسة في مدرسة محمد البشير الإبراهيمي الأساسية الخاصة

Nisreen Shehdeh Al Madhoun

MA in Arabic Language, Islamic University - Gaza - Palestine

A teacher at Mohammed Al-Basheer Al-Ibrahimi Elementary Private School

nesreenelmadhon2020@gmail.com

المستخلص

تعدُّ دراسة المعجم الشعري لشاعرٍ ما عاملاً مهماً في تحليل بنية النص الشعري، كما أنها تكشف عن العلاقة القائمة بين تجربة الشاعر ومعالم الصورة التي أوضحت جزءاً من إحساسه، ومعلومٌ أن لكل شاعرٍ معجمه الشعري الذي من خلاله تتحدد هوية الشاعر وبيان علاقته بثقافة البيئة المحيطة به.

إنَّ دراسة المعجم الشعري تساعد على حفظ التراث اللغوي، واستظهار اللغة من حيث الدلالات والمعاني التي قد يكون أصابها التطور، أو اندثرت وأصبحت في طي النسيان، ومن هنا جاء اختيارنا لموضوع المعجم الشعري في شعر المقاومة ديوان شايлок العصف المأكول أنموذجاً؛ كونه يعبر عن مرحلة من مراحل المقاومة الفلسطينية، وعن حدث مهم من حياة الشعب الفلسطيني ألا وهو حرب العصف المأكول صيف عام ٢٠١٤م، فهو يتحدث عن غزة و يعكس ثقافة شعرها المقاوم.

منهج البحث: اعتمد البحث على المنهج الكيفي الذي يعتمد على تتبع لغة الشاعر والبيئة الذي استسقى منها الشاعر معجمه الشعري.

أقسام البحث: اقتضى البحث تقسيمه إلى ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: نبذة عن الشاعر الأستاذ الدكتور: كمال غنيم.

المبحث الثاني: مفهوم المعجم الشعري والكلمات الدالة.

المبحث الثالث: دراسة تطبيقية للمعجم الشعري في ديوان شايлок العصف المأكول.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي خرج بها البحث.

الكلمات الافتتاحية : المعجم الشعري / شعر المقاومة .

Abstract

The study of the poetic lexicon of a poet is an important factor in analyzing the structure of the poetic text, as it reveals the relationship between the poet's experience and the features of the image that clarified part of his feelings, and it is known that each poet has his poetic dictionary through which the identity of the poet is determined and his relationship with the culture of the surrounding environment is determined.

The study of the poetic lexicon helps to preserve the linguistic heritage, and to memorize the language in terms of the connotations and meanings that development may have afflicted, or ceased to be forgotten, hence our choice of the topic of the poetic lexicon in the poetry of resistance, the Diwan of Shylock, the eaten storm, as a model; As it expresses a caliphate of the stages of the Palestinian resistance, and an important event in the life of the Palestinian people, namely the food storm war in the summer of 2014 AD, it talks about Gaza and reflects the culture of its resistance poetry.

Research methodology: The research is based on the qualitative approach that relies on tracing the poet's language and the environment from which the poet drew his poetic lexicon.

Sections of the research: The research necessitated dividing it into three sections as follows:

The first topic: a profile of the poet, Prof. Dr.: Kamal Ghoneim.

The second topic: the concept of poetic lexicon and key words.

The third topic: An applied study of the poetic lexicon in the Shylock poetry collection.

Conclusion: And it contains the most important results that came out of the research.

Key words: The Poetic Lexicon / The Poetry of Resistance

المبحث الأول: الشاعر في سطور:

الأستاذ الدكتور كمال أحمد غنيم، أستاذ الأدب والنقد في الجامعة الإسلامية بغزة، ولد في السادس والعشرين من حزيران من العام ألف وتسعمائة وستة وستين للميلاد في مخيم النصيرات في قطاع غزة، بلدته الأصلية وادي حنين في فلسطين، درس المرحلة الجامعية الأولى في الجامعة الإسلامية بغزة بتقدير امتياز، وحصل على درجة الماجستير في الأدب والنقد في فبراير من عام ألف وتسعمائة وسبعة وتسعين للميلاد من جامعة النجاح الوطنية بنابلس بتقدير امتياز، ثم درجة الدكتوراه في الأدب والنقد في أغسطس من عام ألفين وواحد للميلاد، من جامعة عين شمس وجامعة الأقصى بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف، أعتقل الشاعر في انتفاضة الحجارة لمدة ثمانية شهور، وتعرض لإصابة في عينه

اليسرى بعبارة مطاطي، له العديد من المؤلفات الأدبية في الشعر والقصة والمسرح والدراما، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: في مجال الشعر شروخ في جدار الصمت ، وشهوة الفرح، وجرح لا تغسله الدموع، وفي مجال النقد المسرح الفلسطيني دراسة تاريخية نقدية وعناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر، والأدب العربي المعاصر أوراق في الأدب والنقد، وفي مجال المسرح له أوبريت الانتصار مسرحية غنائية قصيرة، وأوبريت القدس، ومسرحية يا ناس عيب، وفي مجال السيناريو كتب الفيلم التلفزيوني بعنوان الأسد الصغير، وبحيرة الطمع، وعودة الغزال، وكتب أيضاً سيناريو ثلاثة أفلام تسجيلية، وفي المقامات كتب مقامات الغنيمي، وفي البلاغة قراءة بلاغية جديدة، شارك في العديد من الأمسيات الأدبية والندوات النقدية والمهرجانات الجماهيرية والأيام الدراسية منها: الأسبوع الثقافي الذي أقامه اتحاد الكتاب الفلسطينيين في ذكرى معين بسيسو، والأسبوع الثقافي حول الأدب الفلسطيني في انتفاضة ١٩٨٧م بورقة عمل بعنوان أثر الانتفاضة على المسرح الفلسطيني، ومؤتمر القدس تاريخاً وثقافة، ومؤتمر واحد وستون عاماً على النكبة، شغل العديد من المناصب منها: عمل معلماً بمدرسة خالد بن الوليد الثانوية، ثم محاضراً في قسم المسرح في كلية الإعلام التربوي في جامعة الاقصى، أمين سر اللجنة الاستشارية في الجامعة الإسلامية، وعميد شؤون الطلبة في الجامعة الإسلامية، رئيس الرابطة الأدبية في مؤسسة مركز العلم والثقافة، حصل على العديد من الجوائز والمنح منها: جائزة الشعر مهرجان الفن الإسلامي الخامس النقب، وجائزة الشعر الجامعة الإسلامية، وجائزة أفضل موقع إلكتروني، وجائزة المركز الثقافي المثالي وزارة الثقافة، وجائزة البحث العلمي في العلوم الإنسانية الجامعة الإسلامية، منحة البحث العلمي الممول عمادة البحث العلمي الجامعة الإسلامية خمس مرات، ومنحة التفوق الأكاديمي البنك الإسلامي للتنمية.

• المبحث الثاني: المعجم الشعري والكلمات الدالة:

الأدب تعبير عن ثقافة البيئة التي تحيط بالأديب وأداته اللغة؛ لذا فلغة الشاعر هي معجمه الشعري، وكما أن لكل شاعر شخصيته فلكل شخصية تأثيرها في معجمه الخاص به، ومعجم كل شاعر ما هو إلا انعكاس شخصيته وانعكاسها له، وهذا الانعكاس يتأثر بثقافة البيئة المحيطة بالشاعر.

يقول الجاحظ في هذا السياق: "الكل قوم ألفاظٌ حظيت عندهم، وكذلك كل بليغ في الأرض وصاحب كلام منثور، وكل شاعر في الأرض وصاحب كلامٍ موزون؛ لذا فلا بد من أن يكون قد لهج وألف ألفاظاً بأعينها؛ ليديرها في كلامه وإن كان واسع العلم غزير المعاني كثير اللفظ"^(١).

وتعتبر دراسة المعجم الشعري دراسة ذات أهمية كبيرة في عملية تحليل النص الأدبي؛ كونه يستمد مشروعيته من المناهج من جهة، والغايات والأهداف من جهة أخرى^(٢).

لذا فدراسة المعجم الشعري للنص يساهم في الكشف عن آليات الاختيارات وطبيعتها؛ وذلك لأن لكل شاعر أو أديب قاموسه الإبداعي الخاص، والذي يُعد بمثابة روح النص، فالأسلوب هو الكاتب أما المعجم الشعري فهو الشاعر، وهذا الأمر يحتاج إلى تدبر ومتابعة وأصول.

ويمثل المعجم الشعري لأي شاعر اختيارات الشاعر من المنظومة اللغوية، وهذه الاختيارات لا تكون عبثية أو عشوائية، وإنما يحددها إحساس الشاعر باللغة، وهذا البحث يدرس المعجم الشعري في شعر المقاومة في قطاع غزة من خلال ديوان شاييلوك العصف المأكول والذي يصف من خلال اللغة حرب العصف المأكول على غزة في صيف العام ٢٠١٤م، وللوقوف على هذا المعجم لابد من التطرق إلى الكلمات الدالة وهي: المعجم الشعري، وشعر المقاومة، وشاييلوك، والعصف المأكول.

١- المعجم الشعري:

لقد توصل المهتمون بالمعجم الشعري العربي إلى وضع تعريفات عديدة له أذكر منها:

(١) كتاب الحيوان، أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢/، مصطفى البابي وأولاده بمصر، ١٩٦٥م، ص ٣٦٦.

(٢) انظر: تحليل الخطاب الشعري [استراتيجيات التناس]، محمد مفتاح، ط١/، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م، ص ٥٨.

- عرفه البعض على أنه "تلك المفردات النشطة التي يشكل منها الشاعر قصائده، والتي لا تفتأ تتكرر بشكل ملحوظ في إبداعه، ومن ثم تُعدُّ هذه المفردات النشطة خطأً عمودياً يخترق المستويات الأفقية للنص: الصوتية والتركيبية النحوية والتصويرية، مما يجعلها تمثل المفتاح الرئيس لإبداع شاعرٍ ما تمثل-بصدق- رؤيته للعالم"^(٣).
- وعرفه دكتور محمد مفتاح قائلاً: "هو لحمة أي نص كان، ويحتل مكاناً مركزياً في أي خطاب؛ ولذلك اهتمت به الدراسات اللغوية قديماً وحديثاً وجعلته مركزاً الدراسات التركيبية الدلالية"^(٤).
- يُعدُّ المعجم الشعري من أهم السمات الأسلوبية التي يتسم بها الشاعر عن غيره من الشعراء، وهذا يعتمد على ركنين أساسيين وهما، الأول: كمي ويتمثل في كم الألفاظ التي يستخدمها الشاعر، والثاني: كيفي ويتمثل في كيفية استخدام الشاعر لهذا الركام اللفظي ومحاولته في أن يبيت فيه من روحه بأن يفجر الطاقات الكامنة داخل الألفاظ عن طريق العاطفة^(٥).
- ويؤكد عز الدين إسماعيل على أن تشكيل النسيج الدلالي الإبداعي في النص الشعري لا بد أن تتوافر فيه عناصر اللغة الثلاثة: المحتوى العقلي، والإيحاء عن طريق المخيلة، والصوت الخالص، ويجب أن يكون اتصالها بالكلمات الأخرى اتصالاً إيقاعياً بحيث يؤدي هذا التلوين الإيقاعي إلى الغاية المطلوبة^(٦).
- وقال بعضهم: "هو ذلك الرصيد اللفظي الذي يكون الخطاب الشعري لدى أي شاعر من الشعراء ويتسم بالخصوصية أو الذاتية الناتجة عن قدرة المبدع على بث الطاقات الجديدة في هذه الألفاظ أو تلك مما يحويه خطابه"^(٧).
- ويؤكد الشاعر محمود درويش على أهمية المعجم الشعري لدى الشاعر فيقول: "لدي رياضة يومية، أفتح لسان العرب كل صباح في طريقة عشوائية وأقرأ عن كلمة ما وعن تاريخها وأصلها وعن الاشتقاقات التي خرجت منها، وأكتشف دائماً أنني لا أكتب العربية"^(٨).
- ويعرفه محمد فشان وهو أكثر حداثة بأنه: "المعجم الشعري عند المدرسة الحديثة هو ذلك الرصيد الضخم من الكلمات الشعرية مما سلس اللغة، وعذب معناه، وألفظ السابقين ومما تحتاجه لغة الشعر عن الألفاظ العصرية؛ كي يؤدي الشعر رسالته كاملة في الحياة"^(٩).
- خلاصة ما سبق: يتضح لنا أن اللغة هي وعاء الشاعر وتجربته الشعرية، وأنها عنصر الإبداع الشعري الأساسي، وعلى الشاعر أن يهتم بها جيداً؛ لأنها تُشكل في مجملها معجمه الشعري الذي يستوحيه من ثقافة البيئة المحيطة به.

● شعر المقاومة:

- كثيرة هي الدراسات التي تناولت شعر المقاومة بالدراسة والتحليل، وخاصة تلك التي تحدثت عن المقاومة الفلسطينية على مر العصور منذ النكبة عام ١٩٤٨م، ومروراً بالنكسة عام ١٩٦٧م، ثم الانتفاضة الأولى والتي سُميت بانتفاضة الحجارة عام ١٩٨٧م، وانتهاءً بانتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠م، إلا أن هذه الدراسة جاءت متميزة؛ كونها تتناول المقاومة الفلسطينية خلال حرب العصف المأكول عام ٢٠١٤م، والتي جسدها الشاعر في ديوانه شايولوك العصف المأكول، ذلك الديوان الذي وصف المقاومة الفلسطينية خلال المعركة بأدق تفاصيلها، ولدراسة ألفاظ الديوان لا بد أن نتطرق لمفهوم الشعر المقاوم، إذ يعد "عدم تحديد هوية المكان المستخدم في النص وبخضع لحركة الانتقال التي تعيشها الشخصية بالتالي فإن المكان متعدد ومرتبب بحركة الشخصية من فضاء مكاني إلى آخر حسب مقتضى سير الشخصية في الحكاية" (مصطفى، ٢٠١٦، ص ١٩٧).
- هو رفض للواقع وإيمان بالقدرة على تغييره، وتعبيرٌ عن الألمِ وغضبٍ عارمٍ ضد صور القمع والاضطهاد والاستلاب، وأمل في استشراف حياةٍ أخرى^(١٠). إذ تعد " كل لغة لنظام معين في ترتيب كلماتها ويلتزم هذا الترتيب في تكوين الجمل والعبارات وليست اللغة في حقيقة أمرها الا نظاما من الكلمات " ^(١١).

^٣ (المعجم الشعري بحث في الحقول الدلالية للكلمة في الخطاب الشعري، بلند الحيدري نموذجاً، إبراهيم جابر علي، أمواج-الأردن- عمان، ٢٠١٥م، ص ٩.

^٤ (تحليل الخطاب الشعري، استراتيجيات التناس، ص ٦١.

^٥ (الدوائر الدلالية في معجم الشاعر عبد المنعم رفاعي، أمل شفيق العمري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج/٤، ع/٢، ٢٠١٣م، ص ٣٤٧.

^٦ (الأسس الجمالية في النقد العربي، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي-القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٢٩٥.

^٧ (الدوائر الدلالية في معجم الشاعر عبد المنعم رفاعي، ص ٣٤٧.

^٨ (الدوائر الدلالية في معجم الشاعر عبد المنعم رفاعي، ص ٣٤٧.

^٩ (مدرسة أبو لولو في ضوء النقد الحديث، محمد فشان، دار المعارف مكتبة الدراسات الأدبية، ١٩٨٦م، ص ١٠٨.

^{١٠} (وهج القصيدة، دراسة في الشعر العربي المقاوم، فلسطين، أحمد موسى الخطيب، ط/١، جامعة البتراء، ٢٠٠٩م، ص ٥١.

■ شعر المقاومة هو الشعر الملتزم الذي لا يكون في خدمة مصالح نظام حاكم مستبد ومتطلباته وهو ما يبين بلسان واضح دون الالتفات الي الإبداع في مجال التخيل لا تعقيد فيه، يصرّخ بالحقائق وينبّه مخاطبيه وغيرها. ففي هذا البيان شعر المقاومة هو نوع من الشعر الملتزم وعلي هذا يجب أن يكون هادفاً تعليمياً وأن يبلغ رسالة الشاعر المهمّ فيه هو شعر يعلم مخاطبيه كيفية المواجهة أمام النظم المستبدة وأصول المقاومة أمامها^(١٢).

● شاييلوك:

شخصية مسرحية من شخصيات شكسبير، مراي يهودي، طلب رطلاً من لحم رجل إنجليزي مقابل قرض ربوي اضطر له، حكم القاضي في النهاية بحكم فيه وفاء بالوعد مع اشتراط عدم السماح بنزول قطرة دم واحدة؛ لأن الوعد يشترط اللحم ولا يشترط الدم^(١٣).

● العصف المأكول:

من قوله تعالى: [فجعلهم كالعصف المأكول]، أي: فجعلهم كأوراق الزرع اليابسة التي أكلتها البهائم ثم رمتها، شبههم بورق الزرع الذي أكل، أي: وقع فيه الأكل وهو أن يأكله الدود، والتبن الذي أكلته الدواب وراثته^(١٤).

المبحث الثالث: دراسة تطبيقية للمعجم الشعري في ديوان شاييلوك العصف المأكول:

تأثر شاعرنا في معجمه الشعري بقراءاته الأدبية والدينية والشعرية فضلاً عن أن معجمه مليء بالمتناقضات والألفاظ الموحية بالغضب والتحدي، والنصر والانزمام، والموت والشهادة، والحزن والفرح، وقد سيطرت على الديوان ألفاظ المقاومة ومصطلحات الحرب التي استخدمتها المقاومة الفلسطينية في حرب العصف المأكول في صيف عام ٢٠١٤م، خلال التصدي للعدوان الصهيوني، كما وظف الرمز.

● الرمز:

وظف الشاعر الرمز فكان معجمه الشعري معجماً ثرياً مما أعطى دلالة واضحة على سعة اطلاع الشاعر، وكانت ألفاظه تتبع من وجدانه المقاوم، وقد استثمر شاعرنا الرمز في مواطن كثيرة من الديوان، ومن ألفاظ الرمز التي وردت في قصائد ديوان شاييلوك العصف المأكول:

■ شاييلوك:

لقد استخدم الشاعر شخصية شاييلوك الأدبية كرمز للاحتلال الصهيوني المتعطش للقتل وسفك الدماء والدمار، فتكرر ذكر هذه الشخصية المرابية المتعطشة للدماء في أكثر من قصيدة وفي أكثر من موضع فنجده يقول في قصيدة **حيفا**:

ماضون...

والمجد الأثيل دثارنا

لم ينبث الشاييلوك

أو يتمدد

فشاييلوك المقصود به في المقطع السابق هو الاحتلال الصهيوني، فقد رمز الشاعر إلى الاحتلال المتعطش للدماء من خلال شخصية شاييلوك، إلا أنه وصفه في لحظات ضعفه، ويقول أيضاً في قصيدة **أبائيل**:

قد أن أوانك أن تخرج يا شاييلوك

من الأسطورة لضمير

الأمم المسحورة و [المعمية]

اخرج مفضوحاً، مذموماً، مهزوماً

في حجم قزمي

^{١١} (الرتبة عند سيبويه، د. عبد الواحد خلف وساك، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، المجلد السابع، العدد ١٤ لسنة ٢٠٠٩.

^{١٢} (موقع إلكتروني.

^{١٣} (شاييلوك العصف المأكول، مجموعة شعرية، كمال أحمد غنيم، ط/٢، مؤسسة إحياء التراث وتنمية الإبداع، ٢٠١٧م، ص:٤.

^{١٤} (تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشعرير بأبي حيان الأندلسي [٧٤٥هـ-]، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط/٣، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م، ج/٣، ص:٥١٢.

تدركه كل عيون الناس
 علانية
 فخيال الظلم تحطم
 والمصباح تهشم
 بأبابيل إسلامية
 والمسرح صار برخنياً
 الوعي شداه
 والثورة تملأه
 بأبابيل عصرية!

رمز لهزيمة وضعف الاحتلال ذلك الجيش الذي أطلق على نفسه الجيش الذي لا يقهر أمام ضربات المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، وذلك كما حدث مع شايлок عندما حكم القاضي بوفاء الوعد مشروطاً عدم نزول قطرة دمٍ وبذلك هُزم شايлок أمام حنكة القاضي، فلم يحصل على ما أراد وكذلك الاحتلال لم يحصل على ما أراد، فخيال الظل الذي اختفى بتهشم المصباح. إشارة إلى أن شايлок ضئيل، لكن خياله وهو قرب المصباح يخدع الناس بإظهاره عملاقاً تماماً كما يحدث للظل في خيال الظل.

ويقول أيضاً في قصيدة حصار حيث وصف هزيمة الاحتلال:

شايлок قال بعجرفة:
 لن أكتفي إلا بسحق العابثين بأمننا
 ولدي كل المعرفة

.....

لكنه لم يبتعد،
 عادت جحافلُه، وصرح قائلاً:
 فضحت جهينة سترنا
 نأسف...
 لأن الموت باغت بيتنا
 بالقاذفات المسرقة

لدي كل المعرفة إشارة منه إلى اعتماده على الاستخبارات الخاصة، والعابثين بأمننا يقصد به المقاومة التي كدت حصونه وشتت أمنه المزعوم، وسحقت قوته الوهمية.

وجهينة رمز المقاومة التي كشفت بصمودها وقومها غرور المحتل الذي تراجع تدريجياً عن إعلان أهدافه من الحرب لأنه لم يستطع تحقيقها وخشي من محاسبة جمهوره له.

ويقول في وصف تنازل الاحتلال عن أهدافهم من الحرب ونزوله عن عرش الجيش الأسطورة بعد أن تلقى ضربات المقاومة الموجهة وتمكنت رجال النخبة القسامية من اختطاف جنودهم عبر الأنفاق:

شايлок أنزل سقفه،
 ومضى يقول مُحاذراً:
 النصر ليس مُحققاً،
 يكفيك جيشي أن تحطم واثقاً
 تلك التروس القاذفه!

.....

نزلت شواظٌ مُحرقه...
 دبابة...
 بل ناقله!

جرافة...

بل حافظه!

تلك الكتيبة أحرقت،

سُحِب الجنود إلى العيون النازفة!

لقد ظهرت براعة الشاعر من خلال المقطع السابق في اختيار الألفاظ بدقة متناهية والتي كشفت عن ثراء لغته الشعرية، وتوظيف الرمز بما يخدم التجربة الشعرية المقاومة، فنجدته يرمز للحالة الانهزامية التي وصل إليها الاحتلال الأمر الذي جعله يتنازل عن أهدافه الحربية، فبعد أن كان هدفه سحق المقاومة صرح معلناً هزيمته بفعل ضربات النخبة القسامية التي وصلت ذروتها باختطاف جنوده عبر الأنفاق أمام ومرأى الرادار والزنانة ولم يستطع فعل شيء لهم، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال قوله سُحِب الجنود إلى العيون النازفة!.

ويقول في قصيدة شايوك:

شايوك

يا أيها النبلاء

كل الوحوش تجمعت أضرارها

في قلب شايوك المرابي!

شايوك جاء من المسارح

يحمل العطش القديم

إلى اللحوم إلى الدماء

يا شكسبير ألم تسجل رغبته؟!

شايوك عاد وليس فيكم

من يداوي شهوته!

شايوك عاد وراح يقتل من

يشاء كما يشاء

.....

صب الرصاص على الرجال على النساء

طحن البيوت على رؤوس ساكنيها

.....

يا أيها النبلاء

من للجماجم والهيكل

والجلود على سفافيد الشواء!

يا شكسبير...

تطاوتت تلك المشاهد

في مسارح عمرنا المصلوب!

ليس لها انتهاء!!!

ونجد أن الشاعر قد خصص قصيدة كاملةً لهذا الرمز تحمل اسم شايوك، والتي رمزت لدموية الاحتلال وتعطشه للدماء وشهوة القتل عنده، فهو لا يفرق بين الرجال والنساء، ولا بين الأطفال والشيوخ، ولا بين مدني ومقاوم. فشكسبير الأوروبي كشف مبكراً بشاعة اليهودي شايوك. والخطاب هنا للأخر الأوروبي الذي امتلك تلك الخبرة الشكسبيرية حتى لا يندفع بادعاءات شايوك المعاصر وأكاذيبه. وليطع على دمويته الأكثر شراسة.

■ أبابيل:

قسم التربية الفنية - كلية التربية الأساسية - جامعة ميسان - العراق (٣ - ٤ - اذار - ٢٠٢١) (الفن وثقافة المدينة)

ومن الألفاظ الدينية التي وظفها الشاعر كرمز لفظ أبابيل، حيث رمز من خلالها إلى الطائفة المسيحية التي تمكنت المقاومة من إطلاقها خلال الحرب والتي فاجأت المحتل فأربكت قادته، وشنتت شمل جنده، وقد خصص لها قصيدة منفردة بالإضافة إلى تناثرها داخل قصائد الديوان بشكل يخدم التجربة الوجدانية التي فرضتها طبيعة المرحلة .

ومعلومٌ أنّ أبابيل رمزٌ لطيور الأبابيل التي أرسلها الله جنوداً وعقاب لأبرهة وجيشه وفي هذا النص يرمز من خلاله إلى المقاومة وضرباتها الموجعة التي قضت مضاجع الاحتلال حكوماً وقادة حربٍ وجيشاً خلال حرب العصف المأكول فيقول:

أبابيل

العصف المأكول يسافر عبر الزمن

والطير المأمول أبابيل

ويقول أيضاً:

والفيل أبابيل، سجيل،

عصف مأكول،

من سبع مئانٍ مروية.

طيري لتقولي

إنّ الحق إذا ما أمطر

كانت قطرات الحق إلهية.

والمسرح برختياً،

الوعى سداه،

والثورة تملأه

بأبابيلٍ عصرية!

ويقول في قصيدة عادت بسلام:

لم يعرف أحدٌ

هل جاءت عبر أثير أبابيل

أم سجيل

أم في زخات الطلقات!؟

لقد برع الشاعر في توظيف الألفاظ الدينية والشخصيات الأدبية في الديوان كرموز ذات دلالات أضفت على قصائد الديوان رونق التجربة الشعرية التي فرضتها التجربة الوجدانية المتأثرة بالبيئة التي أحاطت بالشاعر في تلك المرحلة، فكشفت عن ثراء لغته التي كونت في مجملها معجمه الشعري فخرجت بأبهى حلة.

● المصطلحات التي فرضتها طبيعة المعركة:

وظف شاعرنا مصطلحات جديدة فرضتها المرحلة، التي عكست ثراء المعجم الشعري الذي تميز به الشاعر في ديوانه شايوك العصف المأكول، ومن هذه المصطلحات:

■ مسافة الصفر:

وهو مصطلح استخدمته المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة خلال حرب العصف المأكول، وهي نقطة لقاء النخبة من رجال المقاومة مع جنود الاحتلال وجهاً لوجه، فيقول في قصيدة صافرات:

دوت هناك الصافرات!

وتقدّمت جند الطغاة!

لكنها...

قبل الدخول تفاجأت

بمسافة الصفر التي كانت هنا

نزراً يسيراً من تلال مفاجآت!
 "الله أكبر" كلمة السر التي
 تتفتق الأشباح فيها للعيون الذاهلات!
 من أين جاءوا!
 "لست أدري!"

■ صافرات:

مصطلح يُستخدم في حالة الحرب، وإنذار تطلقه أجهزة الرادار المتخصصة، وهو عبارة عن صوت صفير مدوي يُطلق في حالة التعرض للهجوم بصواريخ أو إغارة طائرات حربية أثناء المعركة بين الجيوش، وقد خصص الشاعر لهذا المصطلح قصيدة كاملةً وعنونها به.

يقول الشاعر في قصيدة صافرات:

صافرات
 دوت هناك الصافرات!
 لكنها لم تغن عن صوت الهدير الصاحب!
 جاء الهدير من الشمال،
 من اليمين،
 من اليسار، من الجنوب اللاهب!
 وتفجّر الصوت المخيف مع السحور،
 مع الفطور،
 وفي الظهيرة والمساء الناحب!

ويقول أيضاً في موضع آخر من القصيدة:

شايلوك...
 ماذا قد تفيد الصافرات؟!
 أعمى البصيرة...
 كلما دار الجدار العازل،
 وتحصنت كل الجنود بمركافاه...
 جاء الحساب!!!
 "فالشيخ عز الدين" ينهض صائحاً:
 "أين العزيمة يا رجال؟!
 أين الشباب؟!"
 وإذا بنبع من يقين
 يملؤ الأفاق علماً سرمدياً
 من كتاب لا يضاهيه كتاب!

يقرأ الأشبال فيه كيف يمكن أن تواجه أشكال الصعاب!

أشار الشاعر إلى عبثية الصافرات، فلا جدوى من صوتها أمام صوت الصاروخ المقاوم، والذي جاء من الاتجاهات كافة، وفي جميع الأوقات كان حاضراً، مع السحور والفطور، مع الظهيرة وفي المساء أيضاً، فالهدير المقصود به هو هدير صواريخ المقاومة، إذن هي صافرات لا تعني ولا تسمن من جوع، فهي عاجزة عن حماية جنوده الذي تترس خلف الجدار العزل وتحصن داخل دبابة المركافاه، اختيار موفق لوصف حالة العدو وفشل صافراته في إسعافه والتصدي للمقاومة وضرباتها.

■ عادت بسلام:

مصطلح فرضته طبيعة المعركة، ينم عن فرح القادة والشعب في قطاع غزة بعودة رجال المقاومة والنخبة القسامية من مهمتها بسلام، وقد جعل الشاعر هذا المصطلح عنواناً لقصيدته، فقال فيها:

عادت بسلام
في السابق،
كان الموت يرافق كل نجاح!
واليوم،
تعود القوات بلا قلق كالأشباح!
ما أحلى تلك الأوقات!
ما أحلى تلك الكلمات!
عادت قواتنا بسلام!

المقصود بالقوات في القصيدة رجال المقاومة، حيث أشار في بداية المقطع بقوله: "في السابق، كان الموت يرافق كل نجاح!" إلى أن القوات سابقاً كان الموت يباعثها ويكسر في قلوبنا فرحة الانتصار على العدو إما بسبب استشهاد المنفذين، أو بسبب تعرضهم للاعتقال، وفي بعض الأحيان يصاحب الاستشهاد أو الاعتقال هدم البيوت وتشريد ساكنيها كنوع من العقاب، أما اليوم وبفعل التخطيط والتطور العسكري الذي وصلت إليه المقاومة في القطاع المحاصر فقد عادت رجالها من مهمتها بسلام بعد أن أوجعت العدو، وهذا ما قصده الشاعر بقول: "واليوم، تعود قواتنا بلا قلق كالأشباح!" لقد استقى الشاعر لفظ الأشباح من أفواه الاحتلال عندما وصفوا رجال النخبة القسامية بالأشباح؛ ذلك لأنهم كانوا يخرجون لهم من الأنفاق مبالغته متخفيين بزي العدو، فلم يعد بمقدور العدو التمييز بين جنوده وبين جنود المقاومة، فجاء الاختيار موفقاً.

ويقول في موضع آخر من القصيدة في نفس السياق واصفاً فرحة العودة واصفها بأنها أحلى الكلمات وأجملها، وأنهم أروع القوات كيف لا وهي التي حققت أسمى الانتصارات، إنه انتصارٌ مؤزرٌ مقدسٌ استمد قدسيته من العصف المأكول:

عادت بسلام تلك القوات
في بطن الأرض
وفي الأنفاق
وفي الطرقات
ما أجمل تلك الكلمات
ما أروع تلك القوات!
ما أحلى العودة
بعد الإنجاز القدسي الطلقات

■ الأنفاق:

مصطلح استقاه الشاعر من طبيعة المرحلة ليضيفه إلى معجمه الشعري، وقد ظهر هذا المصطلح مع بدايات الحصار الذي فُرض على قطاع غزة منذ أكثر من أربعة عشر عاماً كنوع من العقاب الجماعي على تولي حركة حماس زمام الأمور في القطاع، وهي ممرات تحت الأرض، وظفتها المقاومة كسلاح ضد الاحتلال لتحقيق أهدافها القتالية، يقول الشاعر في قصيدة حصار:

شايلوك أنزل سقفه،
ومضى يقول مغمغماً،
النصر ليس محققاً،
أنفاقهم هي ما نريد زواله،
وإذا عجزنا عن مقاتلة الرجال...
فليس أسهل من منازل البيوت،
بدكها

لتظل رأسي - رغم كسري - واقفه!

فشابلوك المهزوم يحول يعترف بضعفه أمام المقاومة، لقد قضت الأنفاق مضاجع العدو، فتحول هدفه من القضاء على المقاومة إلى زوال الأنفاق؛ لما حققته المقاومة من نصر عبر هذه الأنفاق، ويكشف عن ذروة ضعفه عندما يحول هدفه مقاتلة الرجال، ومن زوال الأنفاق إلى ذلك البيوت على ساكنيها ليظل الوهم الأسطوري رغم ما ألقته المقاومة به من خسارة وهزيمة محتفظاً بماء وجهه أما شعبه. ويقول في قصيدة عادت بسلام:

عادت والنصر بأيديها، تنثره قمحاً

في بطن الأرض،

وفي الأنفاق،

وفي الطرقات.

ويقول في قصيدة أطفال:

سقياً للطيارة

والصاروخ

وإبداعات الأنفاق الثورية!

لم تعد الأرض آمنة للاحتلال كسابق عهدها، فقد تفجرت بركاناً مقاوماً تحت أقدامهم، فسحقت المركافاه، وشتت المشاة، وأدخلت قادتهم في متاهة من الذعر، هذه المرحلة المهمة في حياة الشعب الفلسطيني أثرت لغة الشاعر فتميز وتألقت في توظيفها بما يخدم الموقف الشعري المسيطر على وجدانه فعكست ثقافة الشاعر المقاومة.

■ إنزال:

قامت المقاومة بعمليات إنزال خلف خطوط العدو بواسطة الأنفاق الأرضية أثناء عملياتها العسكرية ضد العدو في حرب العصف المأكول في مواقع متعددة من مناطق التماس مع العدو في قطاع غزة، منها عملية منطقة نحل عوز شرق غزة، وعملية موقع أبو مطيق، والمنطقة الصناعية شمال القطاع المسماة بإيرز، وعمليات الكوماندوز البحرية، والطائرة المسيرة، وقد استفاد الشاعر من هذا المصطلح ليثري به لغته الشعرية في ديوانه، وفي هذا يقول شاعرنا في قصيدته بعنوان إنزال:

إنزال

نبعوا من تحت الأرض إلى حطين

وتماوج

في الأفق سراباً

يتلوى فيه الضوء

وتنتحر القطرات

أمام عيون الأفاقين!

.....

إنزال يتلوه إنزال

من جوف البحر،

ومن أعماق الأرض،

ومن فوق سماء...

تحلم برجوع الأوابين!

ما أحلى تلك الكلمات:

إنزال

خلف خطوط عدوّ

لا يعرف معنى الأزمات

أسطورةٌ أجيالٍ منذ سنوات...

السبعين!

قولوها: إنزالٌ خلف خطوط

الكذابين

قولوها: إنزالٌ يكسر بللور

الجنباء المهزومين!

.....

إنزالٌ يتلوه إنزالٌ

والنخبة تهرب من ضربات تمشي بثباتٍ

فوق صراطٍ كالسكين!

لقد برع الشاعر في توظيف المصطلح بدقة متناهية، فوصف من خلاله عمليات الإنزال التي قامت بها النخبة القسامية خلف خطوط العدو، فكسرت شوكتهم وهزمت الأسطورة التي لا تقهر منذ سنوات السبعين التي مرت على فلسطين والوطن العربي، فقهرتها أيادي المقاومة، وقد ظهر ذلك جلياً في معجم الشاعر، وتخصيص قصيدة تُعنون بهذا المصطلح، ويتكرر داخلها إحدى عشرة مرة ما هو إلا دلالة على كثرة عمليات الإنزال التي نفذتها المقاومة خلف خطوط العدو، وتداوله على ألسنة الناس فأصبح مصطلح حربي يضيء العديد من معاني الفخر والكرامة.

لقد تعدد الإنزال، فتارة يكون من باطن الأرض بواسطة الأنفاق، وتارة يكون من البحر وفيه إشارة إلى عمليات الكوماندوز البحرية التي نفذتها قوات الكوماندوز القسامي في معركة عُرفت بمعركة زكيم البحرية، وتارة يكون بمفاجأة العدو من السماء في إشارة منه إلى الطيارة المسيرة، ونخبتهم تهول هرباً مذعوراً من ضربات النخبة القسامية التي كانت تتقدم بثبات، محققةً أبهى الانتصارات على مر عصور الصراع العربي الصهيوني، انتصار عجزت قوات الجيوش السبعة عن تحقيقه، في حين حققته رجال محاصرة لا تملك من الإمكانيات غير اليسير.

■ وفاء الأحرار:

يعبر هذا المصطلح عن صفقة تبادل الأسرى التي تمت بين المقاومة الفلسطينية بقيادة حركة المقاومة الإسلامية حماس عام ٢٠١١م، والتي عُرفت عبر وسائل الإعلام أيضاً بصفقة شاليط نسبة إلى الجندي الذي تمكنت رجال المقاومة من أسره والاحتفاظ به بما لا يقل عن خمس سنوات رغم حوض الاحتلال حربيين على قطاع غزة كانت الأولى عام ٢٠٠٨م، وأما الثانية فكانت ٢٠١٢م، والتي تم فيها اغتيال شخصية قيادية وازنة في الجناح المسلح لحركة حماس، أحمد الجعيري، وهو نائب القائد العام لكتائب القسام انتقاماً لخسارتهم في صفقة وفاء الأحرار، وهي من أضخم عمليات تبادل الأسرى العربية الصهيونية، وقد تمت العملية بأسرها على أراضي قطاع غزة بواسطة مصرية، وقد جعل الشاعر هذا المصطلح عنواناً لقصيدة من قصائد ديوانه، حيث وصف فيها مشاهد النصر المؤزر على العدو ذلك الذي أطلق على نفسه الجيش الذي لا يقهر، فقهرته أيدي المقاومة في صفقة وفاء الأحرار، إنه ثراء لغوي لشاعر عاش التجربة الشعرية واقعاً ملموساً، وعاصر تفاصيلها وتأثر بها فجسدها بأجمل الأشعار فقال فيها:

وفاء الأحرار

إذا ما المجد حدث في انبهار،
فقد شهد الحماس على المدار.
رأى الأعمال تحكي دون لغو،
وتمشي في السماء حُطى الكبار.
نجوم الكون تخشع من خطاهم،
وتمضي إن رأتهم من دُوار.
عمالقة إذا انتصب الصراع

وعشاق لتحقيق انتصار.

.....

بطولات توالى في انهيار
تقبلُ الناس من وهن العثار
إذا ما الليل أحكم قبضته،
على الأسرى وأمعن في الدمار.

.....

فترتجف الحدود من الرجال،
وتبتلع الجنود بلا انكسار.
وتخفيفهم عن عين الأعدى
وتمضي في مقاومة الحصار.
فلا الردار يرصد مبتغاه
ولا الزنانة الحمقا تُباري.

.....

مضى الليل المؤطر بالسواد
وجاء الفجر مزهو الإطار
تعملق في الوجود ضمير شعبي،
يكفكف بالصمود أذى الضواري.

لقد زحرت القصيدة بألفاظ العزة والفخر بإنجاز كسر شوكة الاحتلال، فأشار إلى انتصار مؤزر من خلال عنوان القصيدة، وما انحدر تحته من ألفاظ، فالمجد والأعمال وخطى الكبار والنجوم تخشع وعمالقة، وبلا انكسار، وعشاق لتحقيق انتصار وبطولات توالى، جميعها ألفاظ تصف حجم الانتصار الذي حققته المقاومة، وتكشف حجم الثراء اللغوي الذي يكمن في وجدان الشاعر.

كما زحرت القصيدة بألفاظ تكشف عن مدى وهن جيش الاحتلال ذلك الجيش الذي ظل واهماً هو من والاه بأنه الجيش الذي لا يقهر على مدار سبعين عاماً، حتى جاءت المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، ومن هذه الألفاظ تقبل الناس من وهم العثار، تترتجف الحدود من الرجال، وتبتلع الجنود، وتخفيفهم عن عين الأعدى، والردار، والزنانة، جميعها ألفاظ تنم عن انكسار جيش الاحتلال وكسرت شوكتهم، فأثرت الديوان بلغة فرضتها طبيعة المرحلة والتجربة الشعرية للشاعر.

• توظيف المتناقضات والمترادفات اللغوية:

لم يقتصر المعجم الشعري الذي تألق به الشاعر في ديوان شاييلوك العصف المأكول على توظيف الرمز، والمصطلحات القتالية، بل تعداه ليوظف العديد من المتناقضات اللغوية منها: الفرح والحزن، والنصر والهزيمة، ومن المترادفات منها: الغضب والتحدي، والموت والشهادة.

أولاً: المتناقضات:

■ الفرح والحزن:

١- الفرح: تناثرت ألفاظ الفرح في ديوان شاييلوك العصف المأكول في أكثر من موضع، وفي أكثر من قصيدة، فيقول في قصيدة حيفا:

حيفا تزغرد والنسيم يردد
جنتم على فرح

وجاء الموعد
عكازة السبعين فاض شبابها
لما تفجر في الرحاب الموقد
مرحى لمن فاض الفضاء بلحنه
وتمتع السهل الفسيح الأمد.

ويقول في قصيدة عادت بسلام:

واليوم تعود القوات بلا قلق كالأشباح!
ما أحلى تلك الأوقات!
ما أحلى تلك الكلمات:
"عادت بسلام تلك القوات!"

فألغظ الفرح واضحة جلية بقوله: أحلى تلك الأوقات، أحلى تلك الكلمات، يقصد بها عودة رجال النخبة المقاومة من عمليات الإنزال خلف خطوط العدو. ويقول أيضاً في موضع آخر من القصيدة:

عادت والنصر بأيديها، تنثره قمحاً
في بطن الأرض،
وفي الأنفاق،
وفي الطرقات!
ما أجمل تلك الكلمات!
ما أروع تلك القوات!
ما أحلى العودة
بعد الإنجاز القدسي الطلقات!

٢- الحزن: تجسدت ألفاظ الحزن في المعجم الشعري للشاعر في صورة تناقض الفرح الذي تنثر في قصائد الديوان، فتارةً يجسد حزن الشعب الذي عانى ويلات الحصار والحروب، وتارةً أخرى يجسد الحزن الذي سيطر على الاحتلال بدءاً من قياداته وانتهاءً بجنوده الذي واجهوا خسارة فادحة أمام المقاومة، فنجد يعبر عن الحزن الذي أصاب الشعب في قطاع غزة في قصيدة أوبريت القدس وهي مسرحية غنائية قصيرة:

مضت السنون ونحن نجري
فوق أشلاء السنين
والبحر يقذف دمنا
ودماغنا للعابرين
والعظم تطحنه الرزايا
في ضروس الغاضبين
وصراخنا قد تاه في
أفق الغفاة النائمين

ويقول أيضاً:

لكني قد ضعت بعدك من زمن
وتعثرت قدماي في وحل المحن
ولبست ثوب الحزن بعدك مرة
ودخان نار الحقد يغمرها الشجن
وإذا لبست الابيض الثلجي يوماً
ما تردد أن يكون لي الكفن

قسم التربية الفنية - كلية التربية الأساسية - جامعة ميسان - العراق (٣ - ٤ - آذار - ٢٠٢١) (الفن وثقافة المدينة)

لقد عبر الشاعر في الأوبريت عن معاني الحزن بألفاظ ذات دلالة لغوية عميقة؛ ليكشف لنا عن عمق معاناة الشعب الفلسطيني في قطاع غزة المحاصر منذ أكثر من أربعة عشر عاماً، وهذه الألفاظ تجسدت في: أشلاء، يقذف دمعنا، ودماءنا للعابرين، والعظم تطحنه الرزايا، وصراخنا قد تاه، ولبست ثوب الحزن، ودخان نار الحقد يغمرها الشجن، الكفن، ويقول أيضاً في أوبريت حصار في الشمس، وهي مسرحية غنائية قصيرة:

يا صبر أيوب ضج الصبر من حالي
والناس مروا وما اهتزوا لأحوالي
لا بحر أعبره؛ ولا طريق هدى
سارت به النجدات وسط أهوال
قولوا لأمتنا: "إننا على وجع
إن لم تكوني لنا... فمن لأطفال؟!"
"ماذا نقول لأطفالٍ تحاصرهم
سود القنابل في أفواه أحوال؟!"
"ماذا نقول لمرضاتنا إذا ارتجفوا
هل حقنة البنج قد صارت بأغلال؟!"
"ماذا نقول لجرحانا إذا نزفوا؟!
سيروا على شوك آه نحو آجال!!"

جسدت الألفاظ: يا صبر أيوب، وجع، تحاصر، سود القنابل، مرضانا، أغلال، شوك آه، جرحانا، الحزن والألم الذي خلفه الحصار الذي فرضه الاحتلال وأعوانه من الأمم كافة ومن بني جلدتنا، فكان الحصار برأً وجواً وبحراً، وقذفهم بالصواريخ، ومنعوا العلاج دون أن يهتز لهم جفناً، لقد تحمل الشعب وصبر صبر أيوب أمام معاناة وحصار وحروب لا يمكن لشعب غيره أن يتحملة ويصبر عليه، إنها العزيمة الإيمانية.
ويقول أيضاً -واصفاً اليأس الذي أصاب البعض بسبب الحزن على ضياع المستقبل بسبب الحصار الذي يرضخ تحته سكان القطاع منذ سنوات طوال:-

هذه شعاراتٍ نرددها
لا تحك لي هذي الشعارات
أعوام عمري لن أضبعها
أهذي بها كالببغاوات
فقرّ أصاب أبي ياغلاقٍ
ضاعت به كل التجارات
وأنا لا علم ولا طبٍ
عام تبقى للشهادات!

ويقول في موضعٍ آخر:

فاضت من قلبي أحزاني
طرقت جدران الخزان
فلتسمع يا كون صياحي
إني محبوسٌ وأعاني
هل تقرّ أبيض حكاياتي
هل تسمع صوت الإنسان

ويقول أيضاً:

طالت أزمان حصاراتي
واتسع الجرح بأحزاني
يا أقصى الأرض ويا دنيا

إني محبوسٌ وأعاني
يا أقصى الأرض ويا دنيا
إني محبوسٌ وأعاني

فاض من القلب الأحزان، وأحكمت جدران الخزان، وسجن كبير في بقعة صغيرة، وحكايات وأشجان، وأنين مرضى، وجراح، ومعاناة خلفها الحصار الذي أحكمت قبضته على سكان القطاع، كل هذه المعاني جسدتها لغة الشاعر التي هي مرآة مرحلة تاريخية في حياة المواطن الغزي، مرآة أثرت المعجم الشعري لدى شاعرنا، اتسع الجرح، وطال زمان الحصار، وطرقات واستغاثات متتالية لأمم في أقصى الأرض صمت أذانها، وعميت قلوبها فما عادت سمعت صرخات الأطفال، وأنين المرضى والأمهات الثكالي، وشبابٌ تعاني وتعاني فقد ضاع عمرها وهي تنتظر رفع الحصار، دون جدوى من صرخاتهم.

■ النصر والهزيمة:

وبالتعمق في المعجم الشعري للشاعر والذي جسده ديوان شايوك العصف المأكول، وبالغوص في أعماق قصائده بحثاً عن صدقاته المتألثة، نجد أن الشاعر وظف ألفاظ النصر والهزيمة في مقطوعاتٍ شعرية تنم عن براعته في التعبير عن المعنى ونقيضه في آن واحد وبلطفٍ واحد، فيقول في قصيدة أوبريت الانتصار وهي مسرحية غنائية صغيرة:

لا تخفوا عنا لأخبار
جيش العادي ولى... طار
هربوا من بطش البتار
والأنفاق التحتية

فالأخبار هي أخبار الانتصار في المعركة على العدو، وفرار الأعداء من المعركة خوفاً من ضربات المقاومة الموجهة، إذن هو نصر مؤزر للمقاومة، وفي المقابل هزيمة ساحقة للاحتلال المدجج بشتى أنواع السلاح، فالبتار هنا هو سلاح المقاومة الذي تطور عبر سنوات الحصار، بدءاً من صاروخٍ مروراً بأنفاقٍ وانتهاءً بطيارةٍ مسيرة بدون طيار.

ويقول في موضعٍ آخر من الأوبريت:

عجباً فرّ الأعداء
أو صدقاً تحكي الأنباء؟!
بل فروا فاطمتي فروا
هل بعد الألغام بقاء؟!
لا لوم على المظلوم إذا
دمر من سلبوا وأساءوا

ويقول أيضاً:

صدقت والله الأخبار
ومضى الليل... تلاه النهار
جننا نبارك يا وطني
ونجدد عهداً يا دار
آتون زحوفاً يا أقصى
وفلول البغي ستنهار
وعدك يا ربّي نحفظه
جيشك يا ربّي قهّار

كشفت الألفاظ عن مقابلة بين صورتين الأولى: صورة النصر الذي حققته المقاومة، والثانية: صورة الهزيمة المدوية التي لحقت ببيت العنكبوت، وظهر ذلك جلياً من خلال: فر الأعداء، فروا، دمر، مضى الليل، تلاه النهار، نبارك، نجدد عهداً،

جيشك يا ربي قهار، لقد تألق الشاعر وبرع في توظيف المتناقضات من خلال لفظ يبرز صورة النصر والهزيمة في آنٍ واحد.

ويوظف الشاعر معجمه في قصيدة وفاء الأحرار ليكشف عن نصر جديد تحققه المقاومة على الاحتلال فيقول:

إذا المجد حدث في انبهار
فقد شهد الحماس على المدار.
رأى الأعمال تحكي دون لغو،
وتمشي في السماء خطى الكبار
نجوم الكون تخشع من خطاهم،
وتمضي إن رأتهم في دوار.
عمالقة إذا انتصب الصراع،
وعشاق لتحقيق انتصار

فالمجد هو صفقة الأحرار التي حققتها المقاومة على يد رجالها الأبطال، والذي أبهر العالم أجمع، إذ كيف استطاع رجالها أن يحتفظوا بجندي صهيوني في بقعة صغيرة محاصرة براً وبحراً وجواً لمدة لا تقل عن خمس سنوات، في حين يعجز الاحتلال رغم ما يمتلكه من قوة استخباراتية وعسكرية تفوق قوة المقاومة عن تحقيق نصرٍ على المقاومة.

وتمشي في السماء خطى الكبار، يصف مشهد رجال المقاومة لحظة تسليم جلعاد شاليط في معبر رفح البري الواقع بين الحدود المصرية وقطاع غزة يتقدمهم الشهيد أحمد الجعبري، والذي كان يشغل منصب نائب القائد العام لكثائب القسام آن ذاك.

ويقول أيضاً:

تفجرت المآذن صادحات
لتبعث في الصغار هوى الكبار
فترتجف الحدود من الرجال
وتبتلع الجنود بلا انكسار
وتخفيهم عن عين الأعداي
وتمضي في مقاومة الحصار
فلا الرдар يرصد مبتغاه
ولا الزنانة الحمقا تباري
ولا المليار ترصد في فخاخ
ولا حرب تهدد بانذار

كثرت ألفاظ النصر في المقطع السابق والتي تعكس في المقابل هزيمة مدوية لحقت بالاحتلال المدجج بالسلاح والعتاد، فعبر عن نصر المقاومة وهزيمة الاحتلال بقوله: تفجرت المآذن صادحات، ترتجف الحدود، تبتلع الجنود، تخفيهم عن عين الأعداي، فلا الردار يرصد، ولا الزنانة تباري، وتمضي في مقاومة الحصار، لقد أشار إلى عملية اختطاف جنود الاحتلال على يد المقاومة، في إشارة منه إلى تحقيق مجد الانتصار على الاحتلال.

لقد برع الشاعر في توظيف المتناقضات التي فرضتها طبيعة المرحلة، فأثرت المعجم اللغوي الذي عكس ثقافة المقاومة التي زخرت بها قصائد الديوان.

ثانياً: المترادفات:

■ الموت والشهادة:

يعبر الشاعر عن الموت والشهادة في عدة قصائد من الديوان، فيقول في قصيدة شابلوك:

يا أيها النبلاء

من للجماجم والهياكل

والجلود على سفافيد الشواء

المقصود بالجماجم والهياكل في المقطع السابق، هي جماجم وهياكل الشهداء وضحايا العدوان على قطاع غزة خلال الحرب الضروس، والشواء يقصد به النار التي تحرق جلود الضحايا جراء القصف الصهيوني على الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ.

ويقول في قصيدة إنزال:

منذ اللحظات الأولى حتى

الساعات المملأى بدماء المذبوحين!

إشارة منه إلى ضحايا الحرب من المواطنين، الأبرياء والذين تم قصف منازلهم على رؤوسهم. ويكتف الشاعر ألفاظ الموت والشهادة في قصيدة أطفال فيقول:

يزداد الوجع الشابلوكي

فتندلع الشهوات الدموية!

تحمل فاطمة الدمية!

كي تونس وحدتها!

ويلاطم فارس في الشهر الثامن

صاروخ الزنائة بالرضاعة

ذات الأخطار النووية

فالوجع في المقطع السابق هو وجع فقد الأحباب والأهل والأصحاب، لقد انتشرت رائحة الموت من خلال الألفاظ التي أثرت النص فعكست واقعاً مريراً يعيشه الشعب في قطاعنا الحبيب، فالطفلة كانت تلهو بالدمية، وابن الثمانية أشهر يلتقم الرضاعة، عندما داهمهم صاروخ الغدر وسلبهم الحياة، ذلك الصاروخ المحمل برؤوس نووية المحرمة دولياً. ويقول أيضاً:

ديمونة وجدت في الأطفال

سلاحاً فتاكاً

قد يعصف بالأفكار الصاروخية!

ديمونة

وجدت في الأجداد

الفيروسات الوطنية والدينية

ديمونة مولعة

بدماء صبايا غزة

والأشلاء المطحونة والمشوية!

لقد زحرت القصيدة بألفاظ الموت والشهادة والدماء والأشلاء والدمار، والضحايا والأمهات الثكالي والأطفال، فديمونة إشارة إلى استخدام العدو للأسلحة المحرمة دولياً، تلك الأسلحة التي تحتوي على النووي والفسفور، وهو اسم المفاعل النووي الذي يمتلكه الاحتلال، لقد صب الاحتلال جم غضبه وخسارته أمام رجال المقاومة والنخبة القسامية على الأطفال والشيوخ والنساء الأبرياء من سكان القطاع المحاصر.

ويقول في نص أوبريت الانتصار:

لن أنسى يوم المجزرة

والبيت يحاصر بالهلب

أه لو أن الموت مضى

لم يحرمنا أمي وأبي

ويقول في مقطعٍ آخر:

هم ليسوا فاطمتي موتى
وهل من في الجنة أموات؟!
ولماذا تحضرك الذكرى
والناس على فرح باتوا؟!
تنتصر اليوم مواجعنا
والآن يزغرد من ماتوا

فالشاعر يوظف لغته الشعرية بما يخدم تجربته، فيصف الشهداء بأنهم أحياء يرزقون، يزغردون من شدة فرحهم بالانتصار الذي حققته المقاومة من انتصار على العدو في معركة العصف المأكول، فألفاظ الموت والشهادة تظهر جلياً في قصائد الديوان وقد كثفها الشاعر في قصيدة أطفال بما يخدم الصورة الشعرية التي عكست مرحلة من مراحل حياة الطفولة المعقدة التي لم تنج من القصف والقتل والتشريد واليتم، فأظهرت براعة الشاعر في رسم صورة الحرب على غزة، فكانت مرآة لثراء معجمه اللغوي الذي زخر به الديوان وتآلق.

ويقول أيضاً في أوبريت حصار في الشمس:

لقد حكموا علينا بالممات
وما سمحوا ببنجهم الخوون
أما يكفيك موت أمي
فألقونا إلى وسط الأتون
فلا بنج ولا جبس أمدوا
ولا سماعاً القلب الحزين.

أشار الشاعر إلى تحكم الاحتلال في مصائر سكان القطاع من خلال السيطرة على المعابر، فيمنعون العلاج والمعدات الطبية كافة، بدءاً بالجبس الذي يُستخدم في علاج الكسور، وانتهاءً بعلاجات الأمراض المستعصية كالسرطان والفشل الكلوي، مما أثر على حياة المواطنين، فأدى إلى موت الكثير من المرضى من فئات الشعب كافة.

■ الغضب والتحدي:

ظهر الغضب والتحدي جلياً في ديوان لغة الشاعر، وألفاظه في أكثر من قصيدة من قصائد الديوان، وفي أكثر من موضع داخل القصيدة الواحدة، فنجده يقول في قصيدة حيفا:

عكازة السبعين فاض شبابها
لما تفجر في الرحاب الموقد
طوبى لكم
يا القادمين بناركم
كيما يذوب الثلج، بل يتبدد

.....
هذه المآذن
لم تزل بأذائها
ورجالها ونسائها تتمرد

ويقول في قصيدة أباييل:

لن نهذاً حتى تأتيهم
أسراب الطير الأممية

ويقول في قصيدة أيضاً في قصيدة مليار:

ماضون... من دمنا
نعيد للشمس بقوة...

ولن نرضى بغير الشمس
والأفراح والعزة!...
ولن نرضى بخوان يبيع الأرض والثوار!
هذي الجراح جراحنا
عادت لتروي قصة الأخدود،
والسهم الذي طعن الفؤاد
لتهتدي كتل الضلال
إلى المسار
هذي الجراح جراحنا
عادت لتشعل ثورة الأحرار
في زمن البوار

لقد تألق الشاعر في توظيف ألفاظ الغضب والتحدي والثورة التي يتحلى بها الشعب في قطاع غزة، فبالرغم ما يكابده من ألم ومعاناة، وبرغم الحصار الدمار، إلا أنه صابراً متحدياً غاضباً لا يقبل بالذل والهوان، فهو ماضٍ بقوة، لن يرضى بخوان، عائد من قلب الجراح بثورة الأحرار في زمن كثرت فيه الهزائم، إنه غضب شعبي عارم مقترنٌ بالتحدي عكسه الشاعر بألفاظٍ قوية وتجربة شعرية عكست القوة التي تكمن في لغته والتي تعكس ثقافة البيئة المقاومة وطبيعة المرحلة، فلغة الشاعر مرآة المرحلة، وثقافة البيئة المقاومة مرآة المعجم الشعري الذي زخر به الديوان المقاوم.

● الألفاظ الدينية:

الألفاظ الدينية هي الألفاظ التي استقاها الشاعر من القرآن الكريم، فعكست تأثر الشاعر بالقرآن وتأثيره على معجمه اللغوي، ومن الألفاظ التي وظفها الشاعر في قصائده:

■ العصف المأكول:

العصف المأكول يسافر عبر الزمن
والطير المأمور أبابيل
في زمن الردة ينحاز الشرفا
لصناعة أمجاد الامة والمجد أثيل

العصف المأكول تلك الحادثة التي وقعت في عام الفيل عندما شن أبرهة الأشرم هجوماً على مكة؛ لهدم الكعبة المشرفة فجاء الرد الإلهي، وهي من الألفاظ الدينية التي وظفها الشاعر في ديوانه، وهو رمز للحرب الضروس الدموية التي شنها الاحتلال على القطاع وساكنيه، والتي حققت فيها المقاومة نصراً ساحقاً على الاحتلال، أجل نصراً لم يشهد التاريخ له مثيل.

■ الفيل:

يا أصحاب الفيل
ألم تعتبروا؟!
في عام الفيل تصدع قصر الروم
انطفأت نارٌ،
وانكفأت أصنامٌ وخيول.
في عام الفيل تعمق نور الحق
وغنّت أرجاء الدنيا:
قد جاء رسول!
في عام الفيل
انكشفت أستار الغدر،
وأبواق الحقد

تخلت عنهم مهما فجروا- إسرائيل!

فعام الفيل هو رمز تاريخي لحادثة تاريخية ذكرت في القرآن الكريم، إلا أن الشاعر وظف هذا التاريخ بما يخدم النص، فالمقصود به هنا هو عام ٢٠١٤م الذي وقعت فيه حرب العصف المأكول، وتحقق فيه النصر على يد المقاومة، وهزيمة للاحتلال، فقصر الروم هو الكيان الصهيوني، ونور الحق هو الانتصار المؤزر على يد النخبة القسامية، وأبواق الحقد هي الدول الأممية المساندة للاحتلال، بدءاً بالولايات المتحدة الأمريكية، ومروراً بالدول الأوروبية، وانتهاءً بالدول العربية الموالية للاحتلال.

■ **أبائيل:**

والفيل أبائيل، سجيل،

عصف مأكول،

من سبع مئان مروية.

طيري لتقولي

إن الحق إذا ما أمطر

كانت قطرات الحق إلهية.

والمسرح برختياً،

الوعى سداه،

والثورة تملأه

بأبائيل عصرية!

فأبائيل هنا هي رمز في ذاته لكنه حمل اسم الطائرة المسيرة التي فاجأت المقاومة المحتل بإعدادها وتسييرها ووصولها لأهدافها، فهي قدر الله لكنه اليوم على يد المقاومة.

■ **سجيل:**

والفيل أبائيل سجيل

عصف مأكول،

من سبع مئان مروية.

■ **الأنفال والخناس:**

فيها أنفال أبدية

تختمها الناس

على رأس الخناس المخفية

■ **المائدة:**

هذي الطيارة من سورة فيل مبنية

في حلقة ذكر

من مائدة قرآنية.

■ **النفائات:**

في الحرب القادمة

اهتموا بالردع القاسي للنفائات الشايلوكية!

فالسجيل، والأنفال، والمائدة، والخناس، والنفائات، جميعها ألفاظ دينية استقاها الشاعر من القرآن الكريم، فأثرت قصائد الديوان بما حوته من رموز ذات دلالات عميقة المعنى من حيث كونها عبرت عن انتصار المقاومة، فالسجيل هي رمز لسلاح المقاومة الذي دك حصون العدو، والأنفال هي الغنائم التي حصل عليها رجال المقاومة، وهنا يقصد بها جنود الاحتلال الذين خُطفوا على يد النخبة القسامية، فكل لفظ من الألفاظ رمز إلى حصاد المقاومة الذي أنجزته عبر وسائلها القتالية المتعددة، والتي تطورت عبر سنوات الحصار، كل هذا مرآة لثراء المعجم الشعري لدى الشاعر، وانعكاساً لثقافة البيئة القتالية في تلك المرحلة، فاللغة الشعرية عكست تجربة الشاعر التي فرضتها طبيعة المرحلة، وعكس الشاعر على لغته ثقافته الأدبية والدينية فميزت شخصيته الشعرية عن غيره من الشعراء.

الخاتمة:

- قدم هذا البحث دراسة لغوية للشاعر الأستاذ الدكتور كمال أحمد غنيم الذي تجسد في ديوان شاييلوك العصف المأكول كأ نموذج لدراسة المعجم الشعري في شعر المقاومة، وهي دراسة تفصيلية متخصصة تهدف إلى تقديم صورة عن شعر المقاومة وتأثره بالبيئة، وطبيعة المرحلة التي أثرت في الشعراء عامة في تلك المرحلة، وفي شاعرنا موضع الدراسة بشكل خاص و متميز، فعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت الأدب المقاوم إلا أن هذه الدراسة جاءت متميزة كونها تناولت تجربة الشاعر خلال فترة حرب العصف المأكول عام ٢٠١٤م، والتي أثرت في لغة الشاعر فانعكست بمصطلحاتها ورموزها ومقوماتها على معجمه الشعري، كما أنها عكست ثقافته الواسعة بتلك المصطلحات والرموز التي وظفها بطريقة تخدم لغته الشعرية الخاصة، فكشفت عن تفرد من خلال موقفه من اللغة وطريقة تفاعله معها، ويلاحظ المتأمل في هذا المعجم الشعري الفريد تنوع دلالات اللغة عند الشاعر، وهذا التنوع هو نتاج ثقافة فرضتها طبيعة المرحلة.
- يعتبر الديوان رافداً لغوياً تاريخياً كونه اشتمل على مصطلحات جديدة في عالم الثورة والحرب، مثل الأنفاق، وإنزال، ومسافة الصفر، ووفاء الأحرار، وغيرها من المصطلحات التي أثرت في الديوان وميزت لغته، وسجلت حضوراً قوياً في المعجم الشعري المقاوم.
- كشفت الدراسة عن تطور دلالة الألفاظ، وتأثر اللغة بثقافة البيئة المحيطة بالشاعر، فالطير الأبايل هي الطائرة المسيرة، وعام الفيل هو العام الذي وقع فيه العدوان الصهيوني على قطاع غزة، والسجيل هي سلاح المقاومة بمختلف أنواعه، وشاييلوك هو الاحتلال، وغيره من الألفاظ التي تطورت دلالاتها حسب السياق الذي وردت فيه بما يتوافق مع المرحلة والتجربة الشعرية.
- مثلت ألفاظ المعجم صورة جلية لواقع الحياة التي يعيشها الفلسطينيون في قطاع غزة المحاصر لأكثر من أربعة عشر عاماً، وعكست طبيعة المقاومة وتطورها عبر سنوات الحصار.
- المصادر والمراجع:
- الأسس الجمالية في النقد العربي، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي-القااهرة، ١٩٩٢م.
- تحليل الخطاب الشعري [استراتيجية التناس]، محمد مفتاح، ط/١، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م.
- تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشعير بأبي حيان الأندلسي [٧٤٥هـ]، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط/٣، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م.
- الدوائر الدلالية في معجم الشاعر عبد المنعم رفاعي، أمل شفيق العمري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج/٤، ع/٢، ٢٠١٣م.
- شاييلوك العصف المأكول مجموعة شعرية، كمال أحمد غنيم، ط/٢، مؤسسة إحياء التراث وتنمية الإبداع- غزة- فلسطين، ٢٠١٧م.
- كتاب الحيوان، أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط/٢، مصطفى البابي وأولاده بمصر، ١٩٦٥م.
- مدرسة أبو لولو في ضوء النقد الحديث، محمد فشان، دار المعارف مكتبة الدراسات الأدبية، ١٩٨٦م.
- المعجم الشعري بحث في الحقول الدلالية للكلمة في الخطاب الشعري، بلند الحيدري أنموذجاً، إبراهيم جابر علي، أمواج-الأردن- عمان، ٢٠١٥م.
- موقع إلكتروني.
- وهج القصيدة، دراسة في الشعر العربي المقاوم، فلسطين، أحمد موسى الخطيب، ط/١، جامعة البتراء، ٢٠٠٩م.
- Wasak, Abd-Alwahid, Misan Journal of Academic Studies, Vol. 7, Issue 14, 2009.
- Mustafa, Jalal. Misan Journal of Academic Studies. Vol12, Issue 24, 2016.